

الاستراتيجية الدفاعية في الإسلام، وتطبيقاتها في إدارة الدولة*

د. رفيق إبراهيم حسين أبو هاني**

* تاريخ التسليم: 2015/7/12م، تاريخ القبول: 2015/12/5م.
** أستاذ مساعد/ كلية الرباط الجامعية / فلسطين.

security elements, and other state institutions. Then it talks about the levels of defense strategy in Islam, and their applications in the two halves of the state administration, the field one which is called the field strategy, and the national strategy, which is expressed as the supreme strategy of the state. At the end, this research talks about the most important findings and recommendations, that the researcher hopes to be taken into account by political and strategic decision maker.

Key words: Defense Strategy, Islam, managing the state.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وعلى أصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَاتٍ أَنْزِلَهَا عَلَيْكُمْ حِطَّةً وَبَشِيرًا خَيْرًا مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (1) على نصرهم لقدير... (1)

شرح الله عز وجل للأمة الإسلامية الجهاد في سبيله؛ لتذود عن حياتها، وتدفع كل عدوان عن حرمتها، وهناك سيل من الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، التي تبين جليا انتهاج أسلوب الدفاع بكافة أنواعه المشروعة؛ للحفاظ على مقدرات الأمة المعنوية والمادية .

لقد خاض النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مع قوى الكفر والضلال حوارًا فكريًا مدافعًا عن فكرة الإسلام، ومبشرًا بدعوة السماء دعوة العدالة، والحرية والكرامة الإنسانية السامية بكل معانيها، وخاض معهم صراعًا ماديًا عبر عشرات الغزوات والسرايا؛ ليحفظ دولة الإسلام من عدوانهم الغاشم المتطرف، الذي يحمل كل معاني الإرهاب بصوره البشعة المرعبة لكل ما هو إنساني.

إن العالم اليوم الذي يزعم الحضارة، والذي تقوده الولايات المتحدة لا يرضى عن إسلام مدافع عن مقدرات الأمة وحريتها. هم يريدون إسلامًا متقوقعًا في زاوية مسجد، لا يعرف من الدين إلا شعائر وأذكار، بعيد عن هموم المسلمين لا دولة فيه، هذا الإسلام الذي يريدونه مدجنًا، لا يدافع أصحابه عن حريتهم، وكرامتهم، ويسلمون طائعين، أو مكرهين كل ما لديهم من مقدرات الأمة، من اقتصاد، ونفط، ومعادن، وخيرات، وثروات .

لذا كان لا بد وفي ظل هذا الاستبداد والتخاذل المهين، الذي تعيشه اليوم الأمة الإسلامية، وبالذات ما تتعرض له العربية قلعة الإسلام، وحصنه المنيع من هجمة بربرية شرسة من قوى الكفر والضلال، ومعها مكر المنافقين، ويساعدهم تخاذل الحكام؛ بل وتأميرهم إلا من رحم ربي وهم قليل؛ كان لا بد من النظر والتأمل في كتاب الله عز وجل وسنة الحبيب - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في استنباط ما يدل على الأسلوب الناجع للدفاع عن الأمة الإسلامية وأسرع الطرق للوصول إليه، مع بيان كيفية تطبيقاته حاليا في ظل واقعنا المعاصر، فيما يسمى بإدارة الدولة الحديثة.

ملخص:

عاش النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قائدا لهذه الأمة ردحا من الزمن، فعلمها منهج حياتها في العقيدة والحكم والمجتمع، ورسم الطريق نحو بناء دولة متينة، تقوم على أصول قويمه، ولقد جاء هذا البحث - وإن كان بشكل مختصر- ويزعم مؤلفه بأنه قد تناول أهم ما في هذا الموضوع من أصول يبني عليها في ميدان السياسة والحرب، وإدارة الدولة، ولقد اتسم هذا البحث بعنوان مهم يمس جانبا هاما في حياة الأمة الإسلامية، لأنه يتحدث عن تعريف الاستراتيجية الدفاعية ضمن هيئة النظام السياسي الإسلامي، ومثروعتها في الإسلام، وعلاقتها بإدارة الدولة، فهو يربط الماضي الأصيل المتين بالحاضر والمستقبل، الذي ترنو الأجيال إليه، فجاء الحديث في البداية عن تعريف الاستراتيجية الدفاعية في اللغة والاصطلاح، ومكانتها في إدارة الدولة و مشروعيتها في الإسلام، وعلاقة هذه الاستراتيجية بإدارة الدولة وبمكوناتها السياسية والعسكرية والأمنية، وغيرها من مؤسسات الدولة، ثم ورد الحديث عن مستويات الاستراتيجية الدفاعية في الإسلام، وتطبيقاتها في إدارة الدولة بشقيها الميداني، فيما يسمى بالاستراتيجية الميدانية والقومي، وهو ما يُعبّر عنه بالاستراتيجية العليا للدولة، وفي خاتمة هذا البحث أهم النتائج والتوصيات، التي يأمل الباحث أن يتم أخذها بالحسبان لدى صانعي القرار السياسي والاستراتيجي.

الكلمات المفتاحية: الاستراتيجية الدفاعية، إدارة الدولة، النظام السياسي الإسلامي، السياسة والحرب

Defense Strategy in Islam and its Applications in Managing the State

Abstract:

The Prophet Muhammad - peace be upon him - lived as the leader of this nation for so long. He spread the Islamic doctrine and faith as a way of life, governance, and paved the way towards building a strong state based on straight origins. This brief research, as the researcher claims, deals with the most important bases and principles in the field of politics and war, and the state administration. The research has been distinguished by its important title as it highlights an important aspect in the life of the Islamic nation, where it talks about the defense strategy definition within the Islamic political system body, and its legitimacy in Islam, and its relationship to the state administration. It joins the authentic glorious past with the present and the future, that generations aspires to. At first, it talks about the defense strategy definition in the language and terminology, its position in the state administration and its legitimacy in Islam, and the relationship of this strategy with the state administration and its political, military,

أهمية الموضوع:

المصطلحات والمبادئ العسكرية وذلك كونها دراسة تاريخية، وكذلك خلت من ذكر الأحكام الشرعية في المسائل المتعلقة بالنواحي العسكرية، ومع ذلك فإنها تعد رائدة في مثل هذه الدراسات المنهجية المتخصصة.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الآتي في البحث:

1. يتبع الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي في عرض النصوص القرآنية النبوية، واستنباط الدروس المستفادة منها في مجال البحث.

2. ينسب الباحث الأقوال لأصحابها، مع ذكر المراجع في الحاشية، ويقدم اسم الشهرة للمؤلف ثم يذكر اسم الكتاب ثم يدون رقم الجزء والصفحة.

3. يضع الباحث ما نقله بين علامتي تنصيص، وذلك للتفريق بين ما نقل نصاً، وما نقل بتصرف، وما نقل بالمعنى يذكر في الحاشية (انظر).

4. يقوم الباحث باتباع المنهج العلمي المعتمد، فبعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية، والآثار من المصادر والمراجع المعتمدة، وإيضاح غريب اللغة، وبيان الأماكن الغريبة، وترجمة الأعلام.

ويتضمن البحث على مبحثين على النحو التالي:

المبحث الأول:

تعريف الاستراتيجية الدفاعية، ومشروعيتها في الإسلام، وعلاقتها بإدارة الدولة.

◆ **المطلب الأول:** تعريف الاستراتيجية الدفاعية في اللغة والاصطلاح، ومكانها في إدارة الدولة.

◆ **المطلب الثاني:** مشروعية الاستراتيجية الدفاعية في الإسلام، وعلاقتها بإدارة الدولة.

المبحث الثاني:

مستويات الاستراتيجية الدفاعية في الإسلام، وتطبيقاتها في إدارة الدولة.

◆ **المطلب الأول:** الاستراتيجية الدفاعية (العلية) في الإسلام، وعلاقتها بإدارة الدولة.

◆ **المطلب الثاني:** الاستراتيجية الدفاعية الميدانية (العسكرية) في الإسلام، وعلاقتها بإدارة الدولة.

وتضمنت الخاتمة أهم النتائج والتوصيات، ثم مسرد المصادر.

والله موفق والمستعان،،

المبحث الأول: تعريف الاستراتيجية الدفاعية في اللغة والاصطلاح ومكانتها في الدولة

إن مصطلح الاستراتيجية الدفاعية من المصطلحات الحديثة،

تنبع أهمية الموضوع كونه يدرس احتياجاً مهماً للأمة الإسلامية والعربية، وحمايتها من أي تهديد يمكن أن يواجهها، خاصة في ظل التطور العلمي الهائل في عالم التجسس والاختراق؛ وعالم يموج بالتحديات الكبيرة التي تهدد كيان الأمة العربية والإسلامية، لذا جاء هذا البحث ليبين أهمية المنظومة الدفاعية الداخلية والخارجية للدولة على مستوياتها كافة، وكيفية التغلب على الإشكاليات التي تواجهها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتدقيق عثر الباحث على العديد من الدراسات العلمية التي تحدثت عن هذا الموضوع التي ستكون قاعدة انطلاق للبحث، مع الشكر والدعاء لمن أسهم في نشر هذا العلم، ومن هذه الدراسات العلمية:

المدرسة النبوية العسكرية، د. محمد أبو فارس، دار الفرقان - الأردن، (1413هـ - 1993م).

وتعد هذه الدراسة مصدراً مهماً لكل باحث مهتم في قضايا الدفاع على مستوى الدولة في الإسلام، وقد أصلت لبناء الاستراتيجية الدفاعية على مستوى الدولة بشكله الشمولي، ولكن بقي لهذه الدراسة أن تبين بعض المؤسسات والهيئات في مكونات الدولة التي ترعى شؤون الأمن الدفاعي مثل: مجلس الأمن القومي.

1. العقيدة العسكرية الإسلامية دراسة ومنهج ومقارنة، اللواء الركن د. أحمد حسن محمد حسين، القاهرة - مكتبة وهبة (1998م).

وهي عبارة عن كتاب تحدث فيه الكاتب عن مفاهيم عامة للجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك ألحق الكتاب بمجموعة كبيرة من المصطلحات العسكرية المهمة؛ فكان الكتاب يضم في جنباته مسكاً شاملاً للاستراتيجية العسكرية الإسلامية. ولكن لم تتعمق الدراسة في بعض التفاصيل الهامة للاستراتيجية الدفاعية الإسلامية من الناحيتين: الشرعية والعسكرية؛ لكنها بالمجمل دراسة مختصة تستحق التقدير.

2. المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، اللواء محمد جمال الدين محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة (1976م).

وهذه الدراسة عبارة عن كتاب بذل فيه الكاتب مجهوداً كبيراً؛ إذ ركز على مفهوم الاستراتيجية والعسكرية الإسلامية ذكراً العلاقة بينهما، وقد أسهب الكاتب في بيان مبادئ الاستراتيجية الإسلامية، وذكر تفصيلات وتعريفات مهمة تفيد الدارسين في مجال الاستراتيجية الدفاعية الإسلامية.

3. المذهب العسكري الإسلامي، بسام العسلي، دار النفائس، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (1413هـ - 1993م).

وهي دراسة عن كتاب في مجال التاريخ العسكري التحليلي؛ تستعرض أهم المعارك الإسلامية مع بيان التعليق عليها، وبيان العبقورية العسكرية الإسلامية للقادة العسكريين في الفتوحات الإسلامية. ولم تبين الدراسة التفاصيل العلمية العسكرية لبعض

من تستنهض الطاقات، وتوجهها نحو ذلك الهدف المنشود، فمهام الحاكم الأول هي اللجنة الأولى في هذا المشروع الأممي الكبير.

2. عملية المشاركة في مشروع الاستراتيجية الدفاعية من مسؤولية الجميع في الدولة، فكل مقدراتها البشرية والمادية يجب أن تكون مسخرة لهذا الهدف المنشود، وهو ما يعرف بقوى الدولة الشاملة، فالصحة والتعليم والجيش والإعلام، وكافة قطاعات الشعب مطلوب منها المشاركة بكل طاقتها خاصة في زمن الحرب والتهديد.

3. يجب على منظري الدفاع الشامل أن يضعوا على أولوياتهم تحديد أهداف الدفاع بما يواكب حجم التهديدات، والعمل على تحقيق أقصى فائدة في إطار الغاية الوطنية العليا، ووضع الخطط الاستراتيجية؛ لاستغلال الموقع والثروات الطبيعيه المحركه لعجلة الإقتصاد والصناعة؛ لتخدم الهدف الإستراتيجي للأمة، وكسلاح يمكن استخدامه عند الضرورات السياسية في المفاوضات، والصفقات السياسية والتحالفات الدولية.

4. إن من الواضح في النظرية الجديدة في وضع الاستراتيجية الدفاعية هي طريقة لفهم كيفية التطوير للمناهج المناسبة، وانتقاء الخيارات البديلة مثل: الإعلام، وبرامج التكنولوجيا، وأولويات الميزانية، وكذلك الاختيار من بينها على أساس تأثيرها على التنمية الوطنية الشاملة.

رابعاً - العلاقة بين الاستراتيجية الدفاعية والإرهاب:

من خلال تعريف الاستراتيجية الدفاعية للدولة يتبين الفرق الكبير بين مصطلح الدفاع ومهامه على نطاق الأمة، وما يسمى بالإرهاب، الذي يقوم على العنف الغوغائي، الذي لا يراعي حرمة، ولا قانوناً أخلاقياً، أو عرفاً إنسانياً في مجال الإنسانية وحقوق البشر.

والإرهاب هو: (استخدام طرق عنيفة من قبل طرف ما تهدف لنشر العنف والتخريب: لإجبار الطرف الآخر على اتخاذ أو الامتناع عن موقف معين)⁽¹⁰⁾.

ولكن إذا كان الأمر يتعلق بالدفاع عن قضية عادلة، وكان الهدف هو استرجاع الحقوق المسلوبة مثل: مقاومة الاحتلال والحصار العدواني، فهو ليس من قبيل الإرهاب، وهذا ما قرره الجمعية العامة في الأمم المتحدة في قرار رقم (3034) الصادر في 18 ديسمبر 1972م، فقد أكدت على ضرورة التسليم باستبعاد الأعمال، التي تقوم بها حركات التحرر الوطني، وتشريع أعمالها في تقرير المصير، ونيل الاستقلال.

لقد ورد ذكر كلمة الإرهاب في القرآن الكريم في معرض الدفاع ورد العدوان، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تَرَاهُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...﴾⁽¹¹⁾، فالواضح من سياق الآية أن الإرهاب موجه لجهة معادية ناصبت الأمة الخصام والعداء، وتربصت بها الدوائر، حيث كانت النتيجة الأمر بالإعداد لعدو الأمة، وعدو الله من أجل ردعها وكفها عن الشرور والتخريب والإرهاب⁽¹²⁾، وربما هذا ما جعل الشاعر يقول:

وتصادم الإرهاب بالإرهاب

التي تختص بشؤون الدولة الحديثة، ومن الطبيعي أنها تحتل موقعا مهما في هرم الدولة، وهذا المبحث يدرس تعريف الاستراتيجية الدفاعية في اللغة والاصطلاح، وبيان العلاقة بينهما، ومكانتها في إدارة الدولة ومشروعيتها في الإسلام.

المطلب الأول: تعريف الاستراتيجية الدفاعية

يرتبط العمل الدفاعي في الدولة بكل مكونات الهيئات العاملة فيها، ويدرس هذا المبحث تعريف الاستراتيجية الدفاعية في الإسلام، من حيث مشروعيتها في القرآن والسنة مبينا اهتمام الشريعة الإسلامية بهذا الموضوع الذي يحافظ على أمن الأمة الإسلامية، والاهتمام بهذا الأمر العظيم الشأن، الذي يحمي مصالح الدولة ويدافع عن مقدراتها، وذلك كما يلي:

أولاً - تعريف الاستراتيجية في اللغة والاصطلاح:

(كلمة الاستراتيجية مشتقة من الكلمة الإغريقية (ستراتيجوس Strategos) التي تعني حريفا قائد الجيش وهي بهذا المعنى تشير إلى فن قيادة الجهود الحربي برمته)⁽²⁾.

وجاء في تعريفها أيضا: (فن استخدام القوة للوصول إلى أهداف السياسة)⁽³⁾ فهي فن توزيع واستخدام الوسائل العسكرية مثل القوات المسلحة والإمدادات لتحقيق أهداف سياسة ما⁽⁴⁾، وهذا التعريف يبين مدى ارتباط مستوى الاستراتيجية بالقيادة العليا للدولة وأهميتها بالنسبة لمن يديرها.

ثانياً - الدفاع في اللغة والاصطلاح:

الدفاع في اللغة: (دفع) (دفع) الإزالة بقوة دفعه يدفعه دفعاً ودفاعاً، قال تعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾⁽⁵⁾ (6). وفي قراءة أخرى: (ولولا دفاع)⁽⁷⁾.

مفهوم الدفاع اصطلاحاً يعني: (كل إجراء عملي ينفذ عبر استثمار كافة الوسائل والإمكانات الموجودة بهدف التصدي للعدو)⁽⁸⁾.

ثالثاً- الاستراتيجية الدفاعية اصطلاحاً:

إن مصطلح الاستراتيجية الدفاعية من المصطلحات الحديثة المتخصصة، التي شاعت في علم الاستراتيجيات الحديثة، والباحث يورد تعريفا لها كما يلي:

(إعداد الدولة لمواجهة الخصم، وذلك من خلال تطوير، واستخدام القدرات والإمكانات المتيسرة للدولة في كافة جوانبها؛ السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والبشرية - وهي ما تعرف بقوى الدولة الشاملة - لتحقيق الأهداف، والغايات الوطنية، والأمن الوطني للدولة، وسلامة أراضيها)⁽⁹⁾.

ومن خلال التعريف الاصطلاحي يمكن الوصول إلى بعض الاستنتاجات المهمة كما يلي:

1. إن مسؤولية القيادة السياسية في انتهاج استراتيجية دفاعية للدولة هي مسؤولية رئيسية وعظيمة، فأى خلل يقع في هذا المستوى سيدمر المشروع ويعصف به، فالقيادة السياسية هي

لا عدل إلا إن تعادلت القوى

الاستراتيجية الدفاعية الإسلامية ومن المعلوم

أن اتساع إطار التدمير⁽¹⁶⁾، وشموله، يتطلب بالمقابل اتساع إطار الإعداد، وشموله، ولم يعد ذلك قاصراً على المقاتلين وما يتعلق بهم، بل أصبح يشمل كذلك فئات الشعب كله، ومناطق الدولة ومنشأتها، فلكل دور في الحرب وعليه الاستعداد له، والتدريب لمواجهة أخطارها وآثارها⁽¹⁷⁾. وأصبح الإعداد عملة ذات وجهين متلازمين: وقاية ودفاع، وهما ركنا الإعداد.

ثانياً - الثبات في وجه العدوان

أمر الله تعالى بالإعداد لكف العدوان وردعه؛ حتى لا يجرؤ أحد على التفكير حتى باللجوء للقوة العسكرية، ولكن ربما يتهور بعض المغرضين الطغاة، فيلجأ لاستخدام القوة العسكرية؛ لإيذاء الدولة الإسلامية، لذا فقد أمر الله تعالى بالثبات في وجه تلك القوات الغاشمة، وحرّم الشرع الإسلامي الفرار من الزحف؛ بل وعده من الكبائر الموبقة، وذلك كما ورد في القرآن والسنة وبيانه كما يلي:

● من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ﴿١٨﴾ وَمَنْ يُولُوهُمْ يُؤْمِدْ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُنْحَرِفًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَذَرْهُمْ مِنْ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَيُنْسُ الْمُصِيرِينَ﴾⁽¹⁸⁾.

وجه الدلالة

توضح الآية ضرورة الثبات في وجه العدوان، وجاء في معنى الآية أنه (إذا تدانيتم وتعاينتكم فلا تفرّوا عنهم ولا تعطوهم أذباركم والفرار كبيرة موبقة بظاهر القرآن، والتحرّف: الزوال عن جهة الاستواء. فالتحرّف من جانب إلى جانب لمكاييد الحرب غير منهزم، وكذلك المتحيز إذا نوى التحيز إلى فئة من المسلمين؛ ليستعين بهم فيرجع إلى القتال غير منهزم أيضاً)⁽¹⁹⁾ وهنا يتبين مدى أهمية الثبات، وعدم النكوص أمام القوات الغازية من أعداء الدولة الإسلامية، وهذا بالطبع يعمل على بناء استراتيجية دفاعية متينة لا يمكن اختراقها.

● من السنة النبوية المطهرة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ وَالسُّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ)⁽²⁰⁾.

وجه الدلالة من الحديث:

يبين الحديث الخطورة، التي يترتب عليها الفرار من زحف العدو الغزاة، الذين يصرون على مواجهة القوات المسلمة، وذلك بالطبع ضمن قيود بينهما القرآن الكريم، حيث يجوز التظاهر بالفرار حال الكر والفر، وضمن سياق الحرب خدعة، أو للتحيز إلى فئة مقاتلة أخرى للثبات من جديد في وجه الغزاة المعتدين⁽¹²⁾، وقرنت هنا بأكبر الكبائر الموبقة مثل: الشرك بالله والسحر، وهذا بالتأكيد يثبت قلوب المجاهدين، ويرسخ منظومة الدفاع للدولة، بحيث يصبح شأنها أروياً دينياً، لا يجوز التراخي فيه.

لقد احتل الصهاينة بلاد المسلمين، وهتكوا المقدسات والحرما، وقتلوا الشيب والشباب والنساء والأطفال، ولم يراعوا في الشعب الفلسطيني إلا ولا ذمة، ثم بعد ذلك ينادي هذا العدو المجرم بالسلام، ويحاول أن يقنع العالم بأنه يدافع عن وطنه وحدوده، بل وسمى جيشه المغتصب المجرم بجيش الدفاع.

إنه من الفطرة وطبيعة الأشياء أن تهب الأمة الإسلامية، وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني للدفاع عن وطنه المسلوب، وتحرير الأقصى السليب، فهذا مما قرره الشريعة الإسلامية الغراء والقوانين والأعراف الإنسانية في كل حقب التاريخ.

لقد تبنى الإسلام منهاجا يقوم على عقيدة قتالية واضحة في نفس كل مقاتل، إنه يقاتل من أجل هدف نبيل وغاية فضلى تنخلع من كل أنحاء الأرض التي تجعل الإنسان المقاتل يخلد إليها، إنه يقاتل من أجل رسالة. رسالة التوحيد والتحرير لجميع البشر بلا استثناء، فإن استشهد من أجل رسالته فهو حي لم يموت وله من حياة الشهداء ما يتمناها كل مقاتل، وإن ظفر على عدوه كان الثواب الجزيل في الآخرة على كل خطوة خطاها⁽¹³⁾.

المقصد الثاني: أهمية الاستراتيجية الدفاعية في الدولة:

أكد التشريع الإسلامي على ضرورة إعداد الدولة والشعب للدفاع، وحمل المسؤولية للجميع: لكي يكون التجهيز للدولة كاملاً، فلا مجال للتراجع والنكوص أمام المخاطر، التي تحيق بالأمة الإسلامية، لذا فقد أكد الله تعالى على المؤمنين على ضرورة الدفاع عن مكونات الأمة الإسلامية، ودفع العدوان عنها، ومن تلك الوسائل الدفاعية ما يلي:

أولاً - امتلاك القوة الرادعة:

يعد امتلاك القوة التي تشكل استراتيجية الردع مطلباً مهماً في الاستراتيجية الدفاعية الإسلامية، لذا ورد الأمر بامتلاكها، والسعي لها بقدر المستطاع، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِبُونَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...﴾⁽¹⁴⁾.

وجه الدلالة:

إن القوة هي الأساس الأول التي تنبني عليها استراتيجية الردع في الاستراتيجية الدفاعية الإسلامية، وقد جاء لفظ القوة بصيغة النكرة التي تفيد العموم، فهي تشمل جميع أنواع القوة والإعداد لها، وقد فسر الرسول - صلى الله عليه وسلم - القوة الواردة في الآية بالرمي قال عَقِيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ: (وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ)⁽¹⁵⁾ وبالتالي فإن القوة العسكرية الواردة في الآية تتركز في أمرين هما:

1. قوة الرماية بكافة أنواعها من السهام، والنبل قديماً، والمدافع، والصواريخ، بكافة أنواعها في زماننا المعاصر.
2. سرعة الحركة، والانتقال بكافة أنواعها: من الخيل قديماً إلى الطائرات، والسفن، والزوارق الحربية، والدبابة، والآليات في الوقت المعاصر.

وبهذا تتضح القوة: التي تحقق استراتيجية الردع في

نَعَمَتَ اللَّهِ عَ لَيْكُم إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿22﴾

وجه الدلالة من الآية:

تبين الآية الكريمة الأمر بالاعتصام وأهميته، يقول القرطبي - رحمه الله تعالى - في هذه الآية: (الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة، ورحم الله ابن المبارك⁽²³⁾ حيث قال:

منه بعروته الوثقى لمن دانا⁽⁴²⁾

يجد أن هناك نوعان من الأعداء الذين سيدفعهم الله عز وجل أولهما: الخونة، وهم يمثلون العدو الداخلي في صفوف الدولة الإسلامية، وثانيهما: الكفار، وهم يمثلون العدو الخارجي للدولة الإسلامية، وهذا هو أسمى معاني الدفاع، ومكوناته.

2. قال تعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁹⁾

وجه الدلالة:

يتبين من الآية الكريمة اهتمام القرآن الكريم بأسلوب الدفاع؛ لأن الفساد في الأرض موجود ومستمر ما دامت الخليقة ومعنى ذلك « ولولا دفاع الله المؤمنين الأبرار عن الفجار والكفار لفسدت الأرض، أي هلكت⁽³⁰⁾، وقد ورد في كتاب الله عز وجل ما يفصل في ذلك⁽³¹⁾، ويوضح أهمية الدفاع في استراتيجية الدولة؛ من أجل الحفاظ عليها من كل مفسد ومخرب، داخلياً كان أو خارجياً، ويعدّ تدرج المسلمين من من استراتيجية الدفاع (السلبى أولاً ثم الإيجابي) إلى استراتيجية الردع، فالهجوم نتيجة طبيعية ومنطقية لتطور قدراتهم، وإمكاناتهم البشرية والمادية، وبالتالي العسكرية⁽³²⁾.

3. قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَّا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾⁽³³⁾

وجه الدلالة:

أمر الله سبحانه وتعالى بالجهاد من أجل غاية عظمى، ألا وهي الدفاع عن الضعفاء المؤمنين من أيدي الكفرة والطغاة، ورد الأذى عنهم، ففي هذه الآية (حض على الجهاد، وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة والمشركين الذين يسومونهم سوء العذاب، ويفتنونهم عن الدين، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته، وإظهار دينه، واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس؛ وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين، إما بالقتال، وإما بالأموال)⁽³⁴⁾، فالدفاع صريح في هذه الآية عن المكونات البشرية للدولة الإسلامية، والدفاع عن العقيدة من واجبات السلطات الإسلامية، وذلك لأن (المحنة في العقيدة أشد من المحنة في المال والأرض والنفوس والعرض؛ لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الإنساني، الذي تتبعه كرامة النفس، والعرض، وحق المال والأرض، لذلك يستنكر القعود عن الاستجابة

ثالثاً - العمل على تقوية الوحدة بين الأمة الإسلامية:

تعدّ قيمة وحدة الأمة الإسلامية من القيم الضابطة لمسيرة الحكم في الدولة الإسلامية، وذلك لما تمثله من أهمية كبيرة في قوة الأمة واستقرارها، ويكمن سر هذه القوة في وحدة المجتمع المسلم، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم، ووضحته السنة النبوية في كثير من النصوص يكتفي الباحث بذكر مثال واحد للدلالة عليها كما يلي:

• من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا

• من السنة النبوية المطهرة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسُّسُوا، وَلَا تَحَسُّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»⁽²⁵⁾.

وجه الدلالة:

يبين الحديث الأمر الجلي الواضح بوحدة الأمة، وكونها قلباً واحداً، ينبض بالمحبة لبعضها البعض، وينهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن كل أشكال الفرقة والتشردم، وما يؤدي لتفكك الأمة، ومن ثم هوانها وضياعها.

إن العمل على تقوية وحدة الأمة الإسلامية يمثل أهم مقومات الاستراتيجية الدفاعية، فلا يمكن بناء القوة في الدولة طالما بقي أفرادها ومؤسساتها تبعاً لذلك في شتات من أمرهم، وتشردم في قرارهم؛ لذا على العاملين في مجال الاستراتيجية الدفاعية في الدولة أن ينتبهوا لهذه القيمة العظيمة، التي قامت عليها دعائم وأركان الإسلام.

المقصد الثاني: مشروعية الدفاع من القرآن الكريم والسنة النبوية:

أولاً - مشروعية الدفاع من القرآن الكريم:

تضمن القرآن الكريم في العديد من الآيات ما يدل الاهتمام بوضع استراتيجيات الدفاع، التي تحافظ على مقدرات الدولة الإسلامية، وترعى مصالح المسلمين، ويمكن الاكتفاء ببعضها كما يلي:

1. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾⁽²⁶⁾

وجه الدلالة:

يتبين من الآية مفهوم الدفاع بمعناه الصريح، حيث يوضح رب العزة جل وعلا بأنه (يدفع عن المؤمنين بأن يديم توفيقهم؛ حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم، فلا تقدر الكفار على إمالتهم عن دينهم، وإن جرى إكراه فيعصمهم حتى لا يرتدوا بقلوبهم)⁽²⁷⁾ فالله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ عباده المؤمنين الموحدين، فيسّر لهم سبل الدفاع بمعناه الشامل، وبأنه - سبحانه وتعالى - كفيل بالدفع عن المؤمنين لرد أذى الكافرين⁽²⁸⁾، والمتعمّن في نص الآية

لهذه الصرخات(35).

ثانيا - مشروعية الدفاع من السنة النبوية المطهرة:

1. جاء رجل للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك. قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد، قال: أرأيت إن قتلتني؟ قال: هو في النار(36).

وجه الدلالة:

يتبين من الحديث (جَوَّازَ قَتْلَ الْقَائِدِ لِأَخْذِ الْمَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ، سَوَاءً كَانَ الْمَالُ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا لِعُمُومِ الْحَدِيثِ)(37)، فإذا كان هذا الحكم على صعيد الفرد، فكيف بمن أراد أن يهدد مصالح الدولة كافة؟ فالدفاع فيه أوجب، والأولوية فيه أعظم.

2. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد)(38).

وجه الدلالة:

يتبين من الحديث مجالات الدفاع التي يبينها التشريع الإسلامي، وهي: الدين والعقيدة وما يقاس عليها من الفكر والمبادئ الراسخة في دولة الإسلام، والمال وما يقاس عليه من مصالح وأموال ثم الأهل والعشيرة والشعب والأمة، ثم النفس، وما يقاس عليها من سلامة الجسد من كل مكروه، ولا شك أن الدفاع عن الدين والنفس والأهل والمال والبلاد وأهلها، من الجهاد المشروع، ومن يقتل في ذلك وهو مسلم يعتبر شهيداً(39)، ففي هذا الحديث دلالة صريحة في وجوب الإعداد للدفاع بالطرق المشروعة، التي تحقق مصالح العباد والبلاد.

المبحث الثاني: مستويات الاستراتيجية الدفاعية في الدولة:

يمكن تقسيم المستويات للاستراتيجية الدفاعية للدولة لقسمين رئيسيين، أولهما: الاستراتيجية الدفاعية العليا للدولة، وهي التي تمس مكونات الدولة السياسية والاقتصادية والعسكرية، ويمكن أن تشكل تهديداً شاملاً للدولة كلها، ويختص بالتخطيط لها ما يعرف بمجلس الأمن القومي، وثاني المستويات الاستراتيجية هو ما يعرف بالاستراتيجية الميدانية، وهي التي تختص بالجانب العسكري فقط، ويشرف على التخطيط لها وتنفيذها ما يعرف بمجلس الدفاع الوطني، ويمكن التفصيل لبيان هذين المستويين من الاستراتيجية على ما يلي:

المطلب الأول: الاستراتيجية الدفاعية (العليا) على مستوى الأمن القومي الشامل

يرتبط مفهوم الاستراتيجية الدفاعية العليا بمصطلح الأمن القومي؛ لذا لا بد من بيان هذا المصطلح وتعريفه وبيان نشأته، ثم يأتي الحديث عن الجهود، التي يمكن أن تقوم بها الدولة للحفاظ على أمنها الوطني، وذلك على ما يلي:

المقصد الأول: تعريف الأمن القومي ونشأته وجهود الدولة المتبعة لتحقيقه

كثرت التعريفات لمصطلح الأمن القومي، ولعل أشملها، وأدقها - حسب ظن الباحث - ما يلي: (تأمين الدولة من الداخل،

ودفع التهديدات الخارجية عنها؛ بما يكفل لشعبها حياة مستقرة توفر له استغلال أقصى طاقة ممكنة، للنهوض والتقدم والازدهار)(40).

لذا، فإن تسمية الأمن الوطني بهذا الاسم، تدل على عمومته، وإنه يشمل كل المستويات الحيوية للأمة، وإن عبارة الأمن القومي ظهرت كمصطلح أمني عندما تم إنشاء مجلس الأمن القومي الأمريكي (عام 1947م)، وبعدها ظهر ما يُسمى مجلس «الأمن القومي السوفييتي قبل تفككه، مع الأخذ بعين الاعتبار أن المعنى العام للأمن الوطني لم يكن ظهوره وليد العصر، وإنما نشأ مع قيام أول تجمع بشري، فيما يعرف بالقبيلة والعشيرة، وحتى ما هو أكبر منها وصولاً للدولة، وذلك كان يتمثل عندما كانت هذه التجمعات البشرية تتعرض للخطر العام، فكان مجلس القبيلة يلتزم وي طرح الأفكار والرؤى للخروج من هذه الأزمات، ثم تطور هذا المفهوم ليصبح بمعناه الحالي، وتشكلت له الهيئات والمجالس المتخصصة على مستوى الدولة.

ثانيا - الإجراءات المتبعة في الدولة لتحقيق الأمن القومي

تعد مسؤولية حماية الأمن القومي من أهم المهام الملقاة على كاهل الدولة فمهامها تتلخص في حراسة الدين وسياسة الدنيا به(41) كما قرر الفقهاء الكرام، وإن الأمة التي تستغل كل فرصة في حياتها؛ فتعد وتستعد وتبذل قصارى جهدها في الإعداد والاستعداد للتصدي لأعدائها؛ ينبغي أن تتفاعل بالنجاح والنصر؛ لأنها أخذت بالأسباب الموصلة إليه. والأمة التي يصيبها الإحباط والكسل وتترهل؛ فلا تعد ولا تستعد الاستعداد الكافي لنزال أعدائها، وتتوانى عن حشد كل طاقاتها وقدراتها؛ فلا تلوّمن إلا نفسها إذا منيت بالهزائم الساحقة، والنكبات الماحقة، وأصبحت نهياً لكل طامع، وهدفاً لكل غاز، فاستبيحت أراضيها، ودنست مقدساتها، وامتهنت كرامتها، وصودرت حريتها، وقتلت شخصيتها، وخيم عليها هذا البلاء، الذي لا يرفع إلا إذا فاءت إلى رشدها؛ فأعدت واستعدت لغسل العار(42)، إن مفهوم الأمن القومي مرتبط وجوداً وعندما يتكامل المجتمع القومي فهو يحتاج إرادة قومية متجانسة ذات الفاعلية في الداخل والقدرة الحركية في الخارج(43) لدفع أي خطر يهدق بالأمة.

هذا ويمكن ذكر بعض الجهود التي يجب أن تقوم بها الدولة من أجل الحفاظ على منظومة الأمن القومي لها، وذلك على ما يلي:

1. تشكيل مجلس الأمن القومي

ورد في كتاب الله عز وجل ما يشير إلى اهتمام الشريعة الإسلامية بمبدأ الأمن القومي والوطني بمفهومه الشامل، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(44).

وجه الدلالة من الآية:

تبين الآية الكريمة بمفهومها ومنطوقها أهمية الأمن بمفهومه الشامل، فقد ورد في أسباب النزول لها «أن بعض أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - شكوا جهد مكافحة العدو، وما كانوا فيه من الخوف على أنفسهم، وأنهم لا يضعون أسلحتهم»(45) لهذا وعدهم

عقيدتهم، ومدينتهم»⁽⁴⁷⁾، ويضاف على ذلك عن أمنهم الاقتصادي.

2. ضرورة الموازنة في مصالح الأمة العليا فقد اجتهد النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في أن يرد بعض المعتدين عن شعبه في المدينة المنورة، حيث وقعت عدة مفاصد على الدولة أولهما: الحصار وخطر الاستئصال وثانيهما: دفع نصف ثمار المدينة، وكلتا المفسدتين تمسّان بشكل مباشر قضايا الأمن الوطني. فالأول كان يمثل تهديدا عسكريا، والآخر يمثل تهديدا اقتصاديا ولقد أقر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - باختيار الصحابة - رضي الله عنهم - بشأن عدم التفريط بالأمن الاقتصادي للدولة .

وهذه الحادثة تدل بشكل واضح على الجهود التي يجب أن تبذلها الدولة ومؤسساتها الشورية والتخصصية من أجل الحفاظ على الأمن القومي للدولة، ورعاية مقدراتها الأساسية.

هذا ويمكن تعريف مجلس الأمن القومي بأنه:

«هيئة استشارية عليا لتقدير المواقف السياسية الوطنية (القومية) وتأثيراتها على سياسات الدولة واستراتيجيتها الوطنية . ويضم هذا المجلس أعضاء من السلطة التشريعية والتنفيذية . ويعد رأس الهرم السياسي متمثلا برئيس الدولة أو رئيس مجلس الوزراء - حسب النظام السياسي - هو المشرف الرئيسي على هذا المجلس»⁽⁴⁸⁾

ويمكن أن يضاف لهذا المجلس العديد من الخبراء والاستشاريين المتخصصين، وهؤلاء يطلق عليهم في المصطلح السياسي الشرعي (أهل الحل والعقد)، وذلك حسب طبيعة التهديد الذي يمس أمن الدولة، وأهمية هذا المجلس ينبع في أنه المعبر عن الإرادة القومية.

التي هي مجموعة العوامل التي تشكل في مجموعها إرادة الدولة، والأساس الذي تستند إليه عند اتخاذ القرار القومي، ولذلك فإنها تتجسد في ثلاثة عناصر رئيسية⁽⁴⁹⁾ هي:

1. القيادة السياسية.

2. الأهداف الاستراتيجية.

3. حجم القاعدة العلمية، والقدرة التكنولوجية.

ويمكن ذكر أهم المهام المنوطة بهذا المجلس في الاستراتيجية الدفاعية للدولة كما يلي:

- تحديد التهديد الرئيسي للدولة.
- تحديد موعد ونوع الحرب، التي على الدولة الإعداد لها.
- الرقابة على السياسة العسكرية (العقيدة العسكرية) للدولة، بصفتها الوثيقة العسكرية للدولة التي تعبر عن سياستها وقيمها الضابطة .
- تحديد الهدف السياسي العسكري، من الحرب المنتظرة.
- تحديد طبيعة الصراع المنتظر، وتوقيته المحتمل، ومداه ومرحلة المرتقبة.
- تحديد حدود وإمكانيات مسرح العمليات المنتظر.
- تحديد الدول والمنظمات والهيئات الأجنبية، التي سيتم التعاون معها، ونوع التعاون المطلوب من كل منهم (الحلفاء)،

الله تعالى بالأمن بعد الخوف، ويتمكين الدين لهم، وبهذا يتبين أن الأمن الوطني الشامل هو نعمة من الله العلي القدير، يجب على الدولة الإسلامية أن تتحرك بشكل جاد لتحقيق هذا المفهوم، ولقد طبّق النبي صلى الله عليه وسلم هذا المفهوم وسعى إليه، حيث ورد في سيرة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما يدل على جهود رئاسة الدولة في الحفاظ على الأمن الوطني للدولة من خلال تشكيل مجلس استشاري، ولو حتى بشكل مؤقت ليضع الحلول للقضايا التهديدية الكبرى التي تمس بالدولة، وذلك حسب ما ورد في غزوة الأحزاب عام خمسة هجري حيث أراد الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يرد فريقاً من الغزاة المعتدين على المدينة المنورة بالتضحية بثلاث ثمار المدينة؛ من أجل أن يردهم عن الحرب، ويخذلهم عن غزوه، وجاء ما نصه في السيرة النبوية:

(لما اشتد على الناس البلاء؛ بعث رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى عيينة بن حصن، وإلى الحارث بن عوف، وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه، وعن أصحابه فجرى بينه وبينهما المفاوضة في الصلح حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة، ولا عزيمة الصلح، ثم بعث رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى سعد بن معاذ، وسعد بن عباد، فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله. أمراً تحبه فتصنعه؟ أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله، ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة، إلا قرئ، أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له وأعزنا بك، وبه نعطهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيكم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا، وبينهم، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأنت وذلك. فتناول سعد الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتب، ثم قال: ليجهدوا علينا)⁽⁴⁶⁾

وجه الدلالة من الحادثة:

تبين لنا هذه الحادثة من السيرة النبوية ضرورة عقد مجلس استشاري أعلى؛ ليقدم الحلول لتهديدات كبرى تمس الأمن الوطني الشامل للدولة، وهذا ما فعله النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عندما عقد مجلساً يضم كبار الصحابة - رضي الله عنهم - على صورة ما يمكن أن يُسمى مجلس الأمن القومي؛ للخروج بمقترحات مهمة تقرر ما سيفعلون في مواجهة الأخطار الداهمة، ويمكن استقصاء ذلك فيما يلي:

1. أهمية الدفاع عن المقدرات الاقتصادية للدولة، إذ إن الصحابة رضوان الله عليهم، عندما شاوورهم الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بإعطاء الكفار ثلث ثمار المدينة كان رأيهم ألا يعطوهم تمرة واحدة، وذلك لأنهم علموا أن الإسلام سيحفظ لهم مالهم، وأن الله ناصرهم على عدوهم، ورفضوا أن يعطوا مالهم قهراً، واختاروا القتال على التفريط بأمنهم الاقتصادي، وأقرهم الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على ذلك، واختار القتال، «ولقد أدرك قادة غطفان مغزى هذا الموقف، ولم ينسوه حتى انتهاء الحصار، وربما أثر في معنوياتهم أن وجدوا أناساً مستعدين للقتال حتى الموت: دفاعاً عن

♦ توعية القادة وأصحاب القرار السياسي بأهمية دراسة التاريخ الفلسطيني، والإفادة منه في معرفة ماضيهم، وفهم حاضرهم، والتنبؤ بمستقبلهم .

♦ وضع توصيات تعمل على رسم صورة واضحة المعالم؛ لتحرير فلسطين والقدس.

ولكن من الواضح أن هذا المؤتمر السابق من خلال استقراء أهدافه؛ يركز على البعد التاريخي أكثر من غيره، ومن الجدير بالذكر أن التاريخ هو أحد المكونات، التي يمكن أن تسهم في بناء الاستراتيجية الدفاعية العليا للدولة، ولذلك لا بد من مراجعة شاملة لهذا المؤتمر، يتم من خلالها الاهتمام بالمجالات كافة، التي تسهم في بناء منظومة الأمن الوطني

2. إنشاء كلية الدفاع الوطني :

يعد النشاط العلمي في مجالات الأمن الوطني من الأنشطة الاستراتيجية في الدولة، حيث يتم إنشاء الكليات والمعاهد، التي تعنى بهذا الجانب، فالى جانب الكليات الحربية والأمنية التي تؤهل الطلاب لديها؛ ليقوموا بمهامهم الأمنية والعسكرية على أكمل وجه، يتم إنشاء المعاهد العليا في الدولة، التي من خلالها يكمل المتخصصون النابغون فيها دراستهم العليا، وأما فيما يخص الجانب العلمي في دراسات الأمن الوطني؛ فقد تم إنشاء كليات متخصصة في هذا المجال، فمثلا في الكيان الصهيوني تم إنشاء معهد دراسات الأمن القومي⁽⁵³⁾، الذي يقوم بتأهيل قادة دولة الكيان المدنيين والعسكريين، وتدريبهم على مواجهة الأخطار الداهمة توسيع آفاق التفكير الاستراتيجي المهني .

ويوجد في الدول العربية مثل هذه المعاهد، وعلى سبيل المثال لا الحصر يوجد في مصر ما يسمى بكلية الدفاع الوطني، وتعد هذه كلية أعلى مراكز الدراسات العسكرية، فيما يتعلق بموضوعات الأمن القومي، والاستراتيجية القومية، وإعداد الدولة للدفاع، ومهمتها تكمن في توسيع آفاق الدارسين العسكريين، والمدنيين في مجال الأمن القومي، والاستراتيجية القومية، وتعريفهم بحقائق التهديدات، التي تواجه الأمن القومي المصري، وأنسب دور لكل من قطاعات الدولة في مواجهة هذه التهديدات، والنظرة إلى المشاكل القومية نظرة شاملة، تضم كل الأبعاد السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية.⁽⁵⁴⁾

ولكن للأسف، وإن كانت الدول العربية قد بادرت لإنشاء مثل هذه الكليات، لكن يبقى البعد النظري هو المسيطر عليها، وقد اهتمت بجوانب بعيدة عن واقع الصراع الحقيقي المتمثل بالكيان الصهيوني، فدولة عربية مركزية مثل: مصر قد أنهت الصراع معه من خلال ما يسمى باتفاقية كامب ديفيد، وركزت كل دراساتها ومجالسها الأمنية لمجابهة ما يسمى بالإرهاب، وتسخير طاقة الدولة بكافة مجالاتها لمحاربة المعارضين من شعبها، وكل من يرفع صوته عاليا ضد الظلم والجور، الذي يتعرض الشعب له. في مقابل الكيان الصهيوني، الذي سخر كل مقدراته العلمية والعملية، من أجل وضع الخطط الاستراتيجية الدفاعية طويلة الأمد، بما فيها الجبهة المصرية، وغيرها من الدول العربية الأخرى فمتى يستفيق العرب من سباتهم ؟ متى؟

والشكل الذي سيتم من خلاله هذا التعاون (أحلاف - اتفاقيات دفاع مشترك - مذكرة تفاهم إستراتيجي)، والذي سيحدد على أساسه شكل العلاقات الدولية للدولة.

موعد وشكل انعقاد مجلس الأمن القومي:

يعد هذا المجلس أعلى مجلس أمني سياسي في الدولة، وهو - كما سبق - بيانه يناقش أهم القضايا الاستراتيجية في الدولة، لذا فإنه ينعقد سنويا بشكل دوري، ويمكن أن ينعقد بشكل طارئ، وذلك حسب طبيعة التهديد، الذي يواجهه الدولة، وهناك أشكال عدة لانعقاده كما يلي:

1. يمكن أن ينعقد المجلس اعتياديا، إذ يحدد الموعد لهذا المجلس، واستدعاء الأعضاء إليه في صورة الاجتماع العادي، ويتم من خلاله طرح الرؤى والأفكار، وتقدير حجم التهديدات، والأولويات على مستوى استراتيجية الدولة .

2. بعض الدول تنتهج شكل المؤتمر السنوي لهذا المجلس، ويغلب عليه الطابع العنصري، وذلك على شاكله مؤتمر هرتسليا (50) الصهيوني، الذي تأسس عام (2000م) بمبادرة من (عوزي آراد)، وهو ضابط سابق في الموساد، وشغل منصب المستشار السياسي لرئيس الوزراء بنيامين نتنياهو. يجتمع في هذا المؤتمر النخب الإسرائيلية في الحكومة، والجيش، والمخابرات، والجامعات، ورجال الأعمال، وضيوف من المختصين الأجانب من الولايات المتحدة، وأوروبا، ويتم فيه مناقشة مستقبل كيان إسرائيل، ووضعها اقتصاديا، وعسكريا، واجتماعيا، ورصد الأخطار المحيطة بها من الداخل والخارج في دول الجوار، وفي الإقليم، وفي العالم، تحت هدف استراتيجي هو الأمن القومي لإسرائيل.⁽⁵¹⁾

وفي قطاع غزة في العام (2015م)، وتحديدًا في كلية الرباط الجامعية التابعة لوزارة الداخلية الفلسطينية، تأسس مؤتمر علمي سنوي - حسب ما ورد في توصيات المؤتمر - يشكّل في مضمونه عمليات التفكير الأمني القومي في مستواه العالي المتقدم، وأطلق عليه اسم: (فلسطين أسباب الاحتلال وعوامل الانتصار)⁽⁵²⁾، وكانت أبرز أهداف المؤتمر - حسب ما أورده القائمون على المؤتمر - تتمثل فيما يلي:

♦ بيان أهمية فلسطين، والقدس المباركة .

♦ الوقوف على أسباب احتلال فلسطين والقدس عبر العصور، وبيان الموقف الدولي من ذلك.

♦ التعرف على وسائل الاستعمار وأساليبه، التي مكنته من البقاء لأطول فترة ممكنة في فلسطين.

♦ تحفيز الباحثين، والمؤرخين المعاصرين إلى الاهتمام بالتاريخ الجهادي الفلسطيني.

♦ بيان أنواع الاستعمار، وأشكاله المختلفة التي مرت على فلسطين والقدس عبر العصور.

♦ إبراز صورة المقاومة الفلسطينية والعربية والإسلامية، التي ظهرت على أرض فلسطين، من خلال التاريخ الفلسطيني والإسلامي.

♦ تأصيل طرق ورؤى جديدة للانتصار يستنبطها الباحثون، من خلال دراسة التجارب السابقة في التاريخ الفلسطيني.

يعاتب الله أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد غير قريش؛ حتى جمع الله بينهم، وبين عدوهم على غير ميعاد»⁽⁶¹⁾.

وهذا يؤكد شرعية هذه الحرب، فهي ليست حرباً عدوانية، وإنما تمثل حرباً عادلة، تنتزع الحقوق الشرعية لأصحابها. فقد رسخ الإسلام مفهوم أخلاق الحرب قبل أن تدرك أوروبا ذلك بمئات السنين، ولقد رأى العالم الجرائم التي سجلت في تاريخ حروب أوروبا، سواء التي وقعت ضد المسلمين، أو فيما بينها فقد «روى مدونو الوقائع من دون أن يرمش لهم جفن، المذابح التي دُسن بها الصليبيون نصرهم عند الاستيلاء على القدس، وعبر أوروبا كلها خلفت الحروب الدينية جرائم مهولة، بينما عكف عدد لا يحصى من رجال اللاهوت على كلا الجانبين على تبريرها، باسم الإنجيل، بيد أن الأحوال في القرون الماضية تبهر بالمقارنة بالمذابح، والجرائم التي قادت إليها الحروب الصليبية الأيدولوجية للقرن العشرين، والحرب العالمية الثانية»⁽⁶²⁾، فهذه أحد الشهادات، التي تبين مدى الجرائم الحربية، التي وقعت فيها أوروبا قديماً، وحديثاً، وما قامت به أمريكا، وما زالت هذه الجرائم قائمة إذ شاهد العالم ما حدث في العراق، وأفغانستان، وما يحدث في فلسطين من قبل الصهاينة، والسكوت على جرائمهم، وسكوت العالم عما يحدث في سوريا واليمن ومصر وليبيا، كل ذلك يدين تلك القوى العالمية، ويجعل حروبها حروباً عدوانية مقيتة، وأنها لا تصلح لأن تكون حامية لحقوق الشعوب.

2. صد العدوان عن الدولة الإسلامية:

ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾⁽⁶³⁾.

وكان - عليه الصلاة والسلام - يخرج بنفسه قائداً لبعض المعارك الدفاعية، وذلك لصد العدوان عن الدولة الإسلامية الواعدة في المدينة المنورة؛ حيث خرج - صلى الله عليه وسلم - في غزوة أحد فقد ورد في صحيح مسلم في الحديث الذي رواه ثابت عن أنس: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَسَرَتْ رِبَاعِيَّتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ (كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ)»⁽⁶⁴⁾. فقد نزف الدم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دفاعاً عن دينه، ووطنه، فهذا من قبيل الحرب العادلة في الاستراتيجية الدفاعية الإسلامية.

ولكي تبقى هذه الاستراتيجية الدفاعية الميدانية مضبوطة بالاستراتيجية العليا للدولة، فلا تخرج عما رسم لها من الخطط والإمكانات، فإنه يجب على الدولة أن تشكل ما يسمى بمجلس الدفاع الوطني، وفيما يلي يبين الباحث هذا المفهوم، واختصاصاته في شؤون الدفاع.

ثانياً - جهود الدولة في بناء الاستراتيجية الدفاعية الميدانية (العسكرية)

1. تشكيل مجلس الدفاع الوطني:

المجلس الأعلى لشؤون الدفاع (أو الحرب) ويرأسه عادة رئيس الدولة، ويشمل في عضويته العديد من الشخصيات العامة والمتخصصة، وتحدد عضويته إما بناء على الوضع الوظيفي (مثل

المطلب الثاني: الاستراتيجية الدفاعية الميدانية (العسكرية) ، وجهود الدولة لتحقيقها:

تعد الاستراتيجية الدفاعية الميدانية، أو ما يمكن أن يطلق عليها اسم (الاستراتيجية الدنيا) هي المستوى الثاني في منظومة الدفاع للدولة⁽⁵⁵⁾، فهي التي يسعى من خلالها الاستراتيجيون والخبراء لوضع الخطط والدراسات، التي تدفع عن الدولة الأخطار الداهمة سواء كانت داخلية، أو خارجية، لذا من خلال هذا البحث سيتم التفصيل فيها على النحو التالي:

المقصد الأول: تعريف الاستراتيجية الدفاعية الميدانية (العسكرية) وأهميتها في الدولة

أولاً - تعريف الاستراتيجية الدفاعية الميدانية (العسكرية)

الاستراتيجية الدفاعية الميدانية يتجه معناها إلى العمل العسكري التخصصي، وهي بهذا المعنى تشير إلى فن قيادة المجهود الحربي برمته⁽⁵⁶⁾، وجاء في تعريفها أيضاً: «فن استخدام القوة للوصول إلى أهداف السياسة»⁽⁵⁷⁾، فهي فن توزيع واستخدام الوسائل العسكرية مثل: القوات المسلحة والإمدادات؛ لتحقيق أهداف سياسة ما⁽⁵⁸⁾، وتحديدًا هنا في مسائل الدفاع، ورد العدوان، ويفهم مما سبق بيانه من تعريف للاستراتيجية الدفاعية الميدانية: أنها تقوم على ما يأتي:

1. إن مهمة الاستراتيجية تقع على كاهل القيادة العسكرية العليا في وزارة الدفاع، وهيئة قيادة الأركان.

2. يجب أن تُحکم الاستراتيجية الميدانية بضوابط الاستراتيجية العليا للدولة، وتسير ضمن الأهداف التي رسمتها لها، فلا تحيد عنها.

ثانياً - أهمية الاستراتيجية الدفاعية في الدولة الإسلامية:

ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى ما يرشد إلى أهمية الاستراتيجية الدفاعية الميدانية (العسكرية)، وذلك من خلال بيان طبيعة مهام الدفاع في الدولة، ضمن سير تشريع الجهاد في سبيل الله تعالى، وهو ما يسمى الباعث على القتال في الإسلام⁽⁵⁹⁾، بحيث تصبح عملية الحرب منضبطة، فيما يمكن تسميته أخلاق الحرب الإسلامية، فينفي عنها مصطلح العدوان والعبث، على خلاف من تجرأ على الدماء من الذين لا يدينون دين الحق من شعوب، ودول ضلت الطريق الحق. ويمكن إجمال أهم البواعث على القتال في الإسلام على ما يلي:

1. انتزاع الحق الشرعي للدولة الإسلامية:

ومثاله: الخروج في غزوة بدر؛ لانتزاع الحقوق التي يتم الاعتداء عليها من قبل الكفار عندما استولوا على أموال وبيوت المسلمين، فأذن الله تعالى لهم بالجهاد في سبيل الله تعالى، حيث قال تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾⁽⁶⁰⁾ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ

وعن عبدالله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك - رضي الله عنه - يقول: لم أتخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة غزاه إلا في غزوة تبوك، غير أنني تخلفت عن غزوة بدر، ولم

للباحثين بأن يقتحموا هذا المجال البحثي الهام، الذي يخاطب أهم أولويات الأمة العربية والإسلامية، ويبين الباحث هنا أهم النتائج والتوصيات، التي خلص اليها؛ لتكون نبراساً يضيء الطريق للسائرين في حقل السياسة والدفاع، وهي كما يلي:

النتائج :

1. أكد التشريع الإسلامي على ضرورة إعداد الدولة والشعب للدفاع، وحمل المسؤولية للجميع لكي تكون الجهوزية للدولة كاملة، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.
2. العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة الدفاع بجامع الإزالة للخطر، ونفي التهديد والضرر بشقيه الداخلي والخارجي وعلى جميع المستويات في الدولة، فإن كل الجهود المتضافرة في مكونات الدولة في كافة المجالات تهدف لغاية واحدة، ألا وهي نفي الضرر والتهديد.
3. الاستراتيجية الدفاعية هي من مسؤولية الجميع في الدولة، فكل مقدراتها البشرية والمادية يجب أن تكون مسخرة لهذا الهدف المنشود، وهو ما يعرف بقوى الدولة الشاملة.
4. يمكن تقسيم المستويات للاستراتيجية الدفاعية للدولة لقسمين رئيسيين أولهما: الاستراتيجية الدفاعية العليا للدولة وهي التي تمس جميع مكونات الدولة السياسية والاقتصادية والعسكرية، ويمكن أن تشكل تهديداً شاملاً للدولة كلها، ويختص بالتخطيط لها ما يعرف بمجلس الأمن الوطني، وثاني المستويات الاستراتيجية هو ما يعرف بالاستراتيجية الميدانية، وهي التي تختص بالجانب العسكري.
5. يرتبط مفهوم الاستراتيجية الدفاعية العليا بمصطلح الأمن القومي الذي يعني تأمين الدولة من الداخل ودفع التهديدات الخارجية عنها؛ بما يكفل لشعبها حياة مستقرة توفر له استغلال أقصى طاقة ممكنة للنهوض والتقدم والازدهار.
6. على الدولة أن تسعى بشكل حثيث للحفاظ على الأمن القومي لها من خلال جهود عملية مثل: تشكيل مجلس الأمن القومي، الذي يضم شخصيات رفيعة في الدولة، ويرأسه رئيس البلاد أو رئيس مجلس الوزراء. وعلمية مثل: الاهتمام بكلية الدفاع الوطني والمحافل العلمية المشابهة لها لتعزيز الفكر الاستراتيجي للدولة.
7. تعد الاستراتيجية الدفاعية الميدانية، أو ما يمكن أن يطلق عليها اسم (الاستراتيجية الدنيا) هي المستوى الثاني في منظومة الدفاع للدولة، فهي التي يسعى من خلالها الاستراتيجيون والخبراء لوضع الخطط والدراسات، التي تدفع عن الدولة الأخطار الداهمة، سواءً كانت داخلية أو خارجية.
8. الإرشاد إلى أهمية الاستراتيجية الدفاعية الميدانية (العسكرية)، وذلك من خلال بيان طبيعة مهام الدفاع في الدولة ضمن سير تشريع الجهاد في سبيل الله تعالى، وهو ما يسمى الباعث على القتال في الإسلام، بحيث تصبح عملية الحرب منضبطة، فيما يمكن تسميته أخلاق الحرب الإسلامية.

الوزارات التي لها دور رئيس في إعداد الدولة للدفاع)، أو على أساس الخبرة والعلاقات الدولية والإقليمية لشخص بعينه (يحدد بالاسم في هذه الحالة)، ويكون التحديد إما بنص دستوري ثابت، أو بقرار من رئيس الدولة بتشكيل المجلس.

وتقوم وزارة الدفاع بدور رئيسي لإعداد الدولة للدفاع، إضافة إلى مسؤوليتها الرئيسية، في تجهيز وتنظيم وتدريب القوات المسلحة وإعدادها للقتال، فإنها ذات دور فعال ورئيسي في إعداد باقي المجالات، بما يتلاءم مع أهداف الصراع المنتظر. لذا، فهي المسؤولة عن تحديد متطلبات خطة الإعداد ومراحلها، وهي التي تعد للقيادة السياسية الخطوط الرئيسية للأسس والقيود، التي تعمل الأجهزة كافة في إطارها، وقد تكلف من قبل مجلس الوزراء للقيام بدور الرقابة والمتابعة، لباقي القطاعات، والتنسيق بينها، أو تشكل لجنة وزارية لذلك، من قبل مجلس الوزراء.

وأهم مهام هذا المجلس التخصصي (65) ما يلي:

- دراسة مسائل الدفاع عن الدولة، والبت فيها وتكليف جهات الاختصاص بتنفيذها، ومتابعة ذلك.
- صياغة العقيدة العسكرية للدولة، ومن ثم إقرارها من مجلس الأمن القومي، والعمل على الالتزام بها، وإلزامها للمستويات الأخرى في المؤسسة العسكرية.
- دراسة مقترحات وزارة الدفاع الخاصة بإعداد الدولة للدفاع، وإقرارها أو تعديلها.
- تحديد حجم القوات المسلحة والتركيبة التنظيمي لها، ومستوى التدريب القتالي، ودرجة الاستعداد، والجهوزية المطلوبة.
- تحديد الأولويات في الصناعات العسكرية، وأسلوب تأمين الاحتياجات للقوات العسكرية الميدانية.
- اتخاذ قرار إعلان الطوارئ والتعبئة العامة، أو الجزئية وإعلانه.
- وتعد هذه المهام السابق هي أهم ما يناط بالاستراتيجية الدفاعية الميدانية، التي يتم ترتيبها من خلال مجلس الدفاع الوطني.

طبيعة انعقاد مجلس الدفاع الوطني:

يعد مجلس الدفاع الوطني من المجالس التخصصية في الدولة ذات المهام المستمرة، بخلاف مجلس الأمن القومي ذو الطبيعة الاستشارية؛ لذا فإن المحافظة على دورية اللقاءات والانعقاد لمدد لا تطول يحفظ الأمن الدفاعي للدولة، فيمكن أن ينعقد هذا المجلس بصورة شهرية على الأقل، وفي حال وجود تهديدات عاجلة فإنه ينعقد بشكل دائم؛ حتى يستطيع السيطرة على سير العمليات العسكرية حسب الخطة المتفق عليها.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة البحثية التي تضمنت دراسة متخصصة بشؤون الدفاع، من حيث التأصيل الشرعي له، والتطبيق العملي له من خلال إدارة رشيدة للدولة، وإن كانت هذه الدراسة بشكلها الحالي لا تعطي المجال للتفصيل؛ فإن الباحث يوجه النصيحة

التوصيات:

9. رفعت: أحمد وآخرون، الإرهاب الدولي، مركز الدراسات العربي الأوروبي، الطبعة الأولى (1998م)، ص 226.
10. الأنفال: (من الآية:60).
11. انظر: يوسف: فرج، مكافحة الإرهاب، مكتبة الوفاء القانونية، الطبعة الأولى (2011م) ص 10.
12. انظر: أبو فارس، محمد، المدرسة النبوية العسكرية، ص 13.
13. الأنفال: (من الآية:60).
14. مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الجامع الصحيح دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون طبعة أو تاريخ نشر، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الرَّمِيِّ وَالْحَتِّ عَلَيْهِ، وَذَمُّ مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ نَسِيَهُ، (ح 3541)، (10/32).
15. ضوابط مشروعية استخدام أسلحة الدمار الشامل:
 - لما كانت أسلحة الدمار الشامل ذات قدرة تدميرية فائقة، وأثر خطير على البيئة والإنسان، فإنه لا يجوز القول بجوازها مطلقاً؛ بل لا بد من التقييد في استخدامها؛ لأنها تهلك الحياة، وتفسد الأرض والبيئة، والله سبحانه وتعالى لا يحب الفساد. وهناك خمسة ضوابط شرعية يجب أخذها بعين الاعتبار، كما يلي:
 - لا يجوز استخدام هذه الاسلحة إلا في حال وجود مصلحة راجحة متحققة من استخدامها، لذلك ينبغي على أصحاب القرار في الدولة ألا يتسرعوا في اللجوء إلى استخدام مثل هذه الأسلحة المدمرة إلا بناء على وجود مسوغ واضح لاستخدامها ().
 - لا يجوز استخدام أسلحة الدمار الشامل إذا علمنا أن أثرها سيتعدى العدو إلى بلاد المسلمين، أو في حال وجود إخوة مسلمين لنا بين العدو، أو من لا يجوز قتلهم، كمنساء العدو، وأطفاله، أو أنها تصل بتدميرها إلى بلاد محايدة. أي أنها لا تُستخدم إلا في حال الضرورة القصوى .
 - لا يجوز استخدام أسلحة الدمار الشامل إذا كُنَّا قادرين على هزيمة العدو، وحمله على الاستسلام بالأسلحة الأقل تأثراً منها، كالأسلحة التقليدية من بنادق، ومدافع، وما شابهها من وسائل القتال المعروفة .
 - إذا دخل المسلمون في معاهدة دولية تمنع من استخدام أسلحة الدمار الشامل في الحروب، والتزمت بها الأطراف الأخرى؛ فإنه يتعين علينا الالتزام بها؛ لأنَّ المسلمين عند شروطهم، وقد قال الله تعالى: (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ). (سورة التوبة: من الآية 7).
 - لا يجوز استخدام هذا السلاح ضد المسلمين سواء كانوا محاربين أم بغاة لما لها من قوة تدميرية شاملة وعمامة وهذا يتنافى مع أحكام قتالهم. انظر. هيكل: الجهاد والقتال (ج 2، ص 1361).
16. العساف: سوسن، استراتيجية الردع، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى (2008م) ص 166.
17. الأنفال: (آية: 16-15).

1. ضرورة الاهتمام بدراسة الاستراتيجيات الدفاعية ودعم البحث العلمي المتعلق بأمن الأمة، وتفعيل المؤتمرات العلمية المتخصصة بهذا الشأن على غرار مؤتمر (فلسطين أسباب الاحتلال وعوامل الانتصار) الذي عقدته كلية الرباط الجامعية عام 2015م .
 2. إذا كانت الدول العربية قد بادرت بإنشاء كليات الدفاع الوطني التي تُعنى بدراسات الأمن القومي، فهذا جيد، ولكن يبقى عليها أن تتجه بهذه الدراسات للتركيز على الأولويات، وضرورة تحديد التهديد الرئيسي لها، فالعدو الذي يجب التركيز عليه هو الكيان الصهيوني، الذي يُمكّر للأمة ليل نهار.
 3. ضرورة تحمل الجميع مسؤولياته، فعملية المشاركة في مشروع الاستراتيجية الدفاعية هي من مسؤولية الجميع في الدولة، فكل مقدراتها البشرية والمادية يجب أن تكون مسخرة لهذا الهدف المنشود، وهو ما يعرف بقوى الدولة الشاملة، فالصحة والتعليم والجيش والإعلام وكافة قطاعات الشعب مطلوب منها المشاركة بكل طاقتها، خاصة في زمن الحرب والتهديد .
 4. ضرورة الاهتمام بالجيش، فهو يشكل أحد أركان الاستراتيجية الدفاعية الميدانية (العسكرية) في نظام الدولة؛ وذلك لأنه الذراع التنفيذي لها، وهذا يتم من خلال التركيز على تطوير الكادر البشري فيه، والاهتمام بالصناعات العسكرية المتطورة.
 5. يجب إعادة النظر في الاتفاقات الموقعة بين الكيان الصهيوني وبعض الدول العربية، التي تطبع معه، فهذا يشكل تهديداً مباشراً وخطيراً على مكونات الأمن القومي العربي والإسلامي، فأشد الناس عداوة للذين آمنوا هم هؤلاء اليهود الغزاة لأرض فلسطين الحبيبة، وبيت المقدس، مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ## الهوامش:
1. الحج (39).
 2. غرين: روبرت، 33 استراتيجية للحرب، ترجمة: سامر أبو هوش، مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، (1430هـ - 2009م)، ص 19.
 3. بوفر: الجنرال أندريه، مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية، ترجمة أكرم ديري، والهيثم الأيوبي، دار الطليعة، بيروت - لبنان، (1968م)، ص 27.
 4. محفوظ: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، مرجع سابق، ص 29.
 5. (الحج: 40).
 6. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م، (12/67).
 7. كلية فلسطين العسكرية: تكتيك الدفاع، منشورات خاصة - غزة، الطبعة الأولى (2014م) ص 23.
 8. حسين وآخرون: الاستراتيجية منشورات الحلبي الحقوقية - بيروت الطبعة الأولى 2013م ص 130

18. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (7/ 333).
19. البخاري: الصحيح، كِتَابُ الْوَصَايَا، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10] (ح 2560)، (9/ 315).
20. انظر. ابن النحاس: الشهيد أحمد بن إبراهيم (المتوفى: 814هـ)، مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد، تحقيق: د. صلاح الخالدي، دون طبعة ودار نشر (1419هـ - 1999م) ص 213.
21. (آل عمران: 103)
22. يقصد أحد أبرز علماء الحديث عبد الله بن المبارك رحمه الله، ولد سنة ثمان عشرة، ومائة، وفي يوم من أيام شهر رمضان (سنة 181هـ) توفي عبد الله بن المبارك، وهو راجع من الغزو، وكان عمره ثلاثة وستين عامًا، ويقال: إن الرشيد لما بلغه موت عبد الله، قال: مات اليوم سيد العلماء. انظر الخطيب البغدادي: أحمد بن علي أبو بكر، تاريخ بغداد، (ج10، ص 156).
23. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (ج4، ص159).
24. البخاري، الصحيح الجامع، بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ التَّخَاؤُدِ وَالتَّدَابُرِ، (ح 5604) (ج 9، ص 81).
25. الحج: (38).
26. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (12/67).
27. انظر. ابن عاشور: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، بدون طبعة تاريخ نشر. التحرير والتنوير (17/272).
28. البقرة: (من الآية: 251).
29. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (3/260).
30. قال تعالى: (...) وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيُنْصِرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (الحج: 40).
31. سويد: اللواء الركن ياسين، معارك خالد بن الوليد رضي الله عنه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة (1989م)، ص 117.
32. النساء: (75).
33. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (5/280).
34. قطب: سيد، في ظلال القرآن، القاهرة، الطبعة: السابعة عشر، (1412 هـ). (2/708).
35. مسلم: الصحيح، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ قَصَدَ أَخَذَ مَالَ غَيْرِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ كَانَ الْقَاصِدُ مُهَذَّرَ الدَّمِ فِي حَقِّهِ وَإِنْ قُتِلَ كَانَ فِي النَّارِ وَأَنَّ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ (ح 201) (1/ 340).
36. النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، (1392هـ) ، (1/ 262).
37. البخاري: الجامع الصحيح، كِتَابُ الْمَطَالِمِ وَالْغَضَبِ، بَابُ مَنْ قَاتَلَ دُونَ مَالِهِ (ح 2300) (8/ 377).
38. http://www.binbaz.org.sa/mat/3844 الموقع الرسمي للشيخ الراحل عبد العزيز بن باز 30/11/2014م
39. حسين وآخرون، الاستراتيجية، ص 20.
40. الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى : 450هـ) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص 3.
41. أبو فارس: محمد، المدرسة النبوية العسكرية، دار الفرقان - الأردن، 1413هـ - 1993م، ص 106.
42. انظر. ربيع: حامد، نظرية الأمن القومي العربي، دار الموق العربي، القاهرة، دون طبعة، (1984م)، ص 67.
43. النور (55).
44. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (12/ 297).
45. الأندلسي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى، (1417هـ)، (2/105).
46. عرموش: أحمد راتب، قيادة الرسول السياسية والعسكرية، دار النفائس، ص 80.
47. حسين وآخرون: الاستراتيجية، ص 198.
48. انظر. زهران: جمال، منهج قياس قوة الدول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، (2006م)، ص 80.
49. هرتسليا: مغتصبة صهيونية، أقيمت على تجمع للقرى الفلسطينية منها: قرية شبيب الفلسطينية، وهي تقع على شاطئ البحر المتوسط، ضمن لواء ما يسمى تل أبيب (تل الربيع الفلسطينية). ويسكنها حوالي 87,000 نسمة حسب مكتب الإحصاء الإسرائيلي. تم تسميتها نسبة لمؤسس الصهيونية الحديثة تيودور هرتزل. تغطي المدينة مساحة مقدارها 26 كيلومترا مربعا. يقع غربي المدينة حي يعتبر من أرقى وأغنى الأحياء في المغتصبات الصهيونية، حيث السفارات، ومنازل الدبلوماسيين الأجانب، ورجال الأعمال. يشار إلى أن المدينة قد تأسست في عام 1924 على يد المغتصبين اليهود إلى فلسطين. انظر. موقع رام الله لاند على الانترنت. http://forum.ramallah-land.com بتاريخ: 15 - 3 - 2015م.
50. انظر: الموقع الرسمي لمؤتمر هرتسليا الصهيوني على الانترنت http://www.herzliyaconference.org
51. http://www.moi.gov.ps/conference /الموقع الرسمي لوزارة الداخلية الفلسطينية 18 - 3 - 2015م
52. http://www.arabic-military.com الموقع الرسمي لكلية الدفاع الوطني في مصر بتاريخ: 15 - 1 - 2015م
53. مقابلة مسجلة أجراها الباحث مع العميد صفوت الزيات، القاهرة، 15 - 3 - 2012م
54. غرين: روبرت، 33 استراتيجية للحرب، ترجمة: سامر أبو هوش، مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، (1430هـ - 2009م)، ص 19.
55. بوفر: الجنرال أندريه، مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية، ترجمة أكرم ديري، والهيثم الأيوبي، دار الطليعة، بيروت - لبنان، (1968م)، ص 27.
56. محفوظ: اللواء جمال الدين محفوظ، المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة - مصر، 1976م، ص 29.

57. انظر: هيكل، محمد خير، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، دار البيارق، بيروت، الطبعة الثانية، (1417هـ - 1996م)، (1/586).
58. الحج (آية: 39 - وجزء من الآية 40).
59. ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) السيرة النبوية، هجر للطباعة والنشر - الجيزة الطبعة: الأولى، (1417هـ - 1997م). (2/389).
60. Bugnion: Francois, just war and a war of aggression, and international humanitarian law. المجلة الدولية للصليب الأحمر، مختارات من أعداد 2002م، ص37. ترجمة موقع منظمة الصليب الأحمر على الإنترنت، (www.icrc.org).
61. الحج (من الآية: 40).
62. مسلم: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، والسير، باب غزوة أحد، (ح4746)، (5/179).
63. انظر: حسين وآخرون، الاستراتيجية، ص 199.
- المصادر والمراجع:**
- أولاً- القرآن الكريم.**
- ثانياً- كتب الحديث:**
1. البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الصحيح الجامع (صحيح البخاري) دار ابن كثير، دمشق، دون تاريخ أو طبعة.
2. مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الجامع الصحيح دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون طبعة أو تاريخ نشر.
- ثالثاً- كتب التفسير:**
1. ابن عاشور: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، بدون طبعة تاريخ نشر، التحرير والتنوير
2. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.
3. قطب: سيد، في ظلال القرآن، القاهرة، الطبعة: السابعة عشر، (1412 هـ).
- رابعاً- شروح الحديث والفقه والسيرة النبوية:**
1. ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) السيرة النبوية، هجر للطباعة والنشر - الجيزة الطبعة: الأولى، (1417هـ - 1997م).
2. الأندلسي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى، (1417هـ)
3. عرموش: أحمد راتب، قيادة الرسول السياسية والعسكرية، دار النفائس - بيروت طبعة الأولى، (1989م).
4. النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، (1392هـ).
5. أبو فارس: محمد، المدرسة النبوية العسكرية، دار الفرقان - الأردن،
- (1413هـ - 1993م).
6. ابن النحاس: الشهيد أحمد بن إبراهيم (المتوفى: 814هـ)، مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد، تحقيق: د. صلاح الخالدي، دون طبعة ودار نشر (1419هـ - 1999م).
7. خامساً- الكتب الاستراتيجية:
8. بوفر: الجنرال أندريه، مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية، ترجمة أكرم ديري، والهيثم الأيوبي، دار الطليعة، بيروت - لبنان، (1968م).
9. حسين زكريا، وآخرون: الاستراتيجية منشورات الحلبي الحقوقية - بيروت الطبعة الأولى (2013م)
10. ربيع: حامد، نظرية الأمن القومي العربي، دار الموق العربي، القاهرة، دون طبعة، (1984م)
11. زهران: جمال، منهج قياس قوة الدول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، (2006م).
12. سويد: اللواء الركن ياسين، معارك خالد بن الوليد رضي الله عنه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة (1989م).
13. شفيق: منير، الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب، دار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى (1429هـ - 2008م).
14. العساف: سوسن، استراتيجية الردع، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى (2008م).
15. غرين: روبرت، 33 استراتيجية للحرب، ترجمة: سامر أبو هوش، مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، (1430هـ - 2009م).
16. محفوظ: اللواء جمال الدين محفوظ، المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة - مصر، 1976م.
- سادساً- مقابلات شخصية مسجلة:**
- مقابلة مسجلة أجراها الباحث مع العميد صفوت الزيات، القاهرة، 15 - 3 - 2012م
- سابعاً- مواقع الإنترنت:**
1. www.icrc.org الصليب الأحمر الدولي.
2. http://www.arabic-military.com الموقع الرسمي لكلية الدفاع الوطني في مصر
3. http://ar.wikipedia.org موسوعة الويكيبيديا على الإنترنت
4. http://www.moi.gov.ps/conference الموقع الرسمي لوزارة الداخلية
5. http://forum.ramallah-land.com موقع رام الله لاند على الإنترنت
6. http://www.binbaz.org.sa/mat/3844 الموقع الرسمي للشيخ الراحل عبد العزيز بن باز